

نوستالجيا الحدث في التشكيل العراقي المعاصر The Nostalgia of event in contemporary Iraqi art painting

أ.م.د عبد الكاظم علي خلف

A.Pr.Dr. Abdulkadhim Ali Khalaf

كلية الفنون الجميلة

College of Fine Arts

جامعة واسط

University of Wasit

akhalaf@ouwasit.edu.iq

07811352200

الكلمات المفتاحية: النوستالجيا، الموروث، الحدث، المعاصر

ملخص البحث.

يعد الفن احد اهم السبل في استحضار الماضي و الذكريات، و التي من الممكن ان تكون ممثلة بالصوت او بالصورة، فما الاستماع الى أغنيات ام كلثوم على سبيل المثال لا الحصر الا جزء من هذا الحنين و الاستذكار لزمان يراه الاغلب من الشعوب العربية هو الأمثل و الاجمل بعيدا عن كل ما أحاط به من تغيرات سياسية و اجتماعية و ديموغرافية.

اما من الجانب التشكيلي، فقد نحى التشكيليون العرب هذا المنحى لارتباطهم الوثيق بتاريخهم و موروثهم الشعبي، لذلك نرى توجه الاعم منهم في توثيق الأماكن و الاحداث في زمن سابق من الممكن انهم قد عاصروا بعضه او عاشوا تفاصيله، و ذلك لحنينهم الى الماضي بشخصه و امكنته و احداثه. وهو ما يطلق عليه اصطلاحا ب (النوستالجيا).

دأب التشكيليون العراقيون على تصوير المشاهد المرتبطة بالماضي، فكانت مرجعياتهم الصورية استحضارا للموروثات و التراث بعمومياتها احداثا او شخصا او امكنة، حتى بات الموضوع التراثي القديم أسلوبا للكثير منهم. و حتى للطلبة الدارسين في كليات الفنون. فنرى رواد الفن التشكيلي في العراق قد استلهموا معظم أعمالهم من الصور المستحضرة و منهم جواد سليم و فائق حسن و إسماعيل الشبخلي و نوري

الراوي و غيرهم، و من المعاصرين على سبيل المثال محمود فهمي و شاكر الالوسي و علي آل تاجر.

Keywords: Nostalgia, Heritage, Event, Contemporary

abstract

Art is one of the most important ways to evoke the past and memories, which can be represented by sound or image. Listening to the songs of Umm Kulthum, for example, but not limited to, is only part of this nostalgia and remembrance of a time that most Arab peoples see as the best and most beautiful. Away from all the political, social and demographic changes surrounding it.

As for the plastic side, the Arab painters have avoided this approach due to their close connection to their history and their popular heritage, so we see the general tendency of them to document places and events in an earlier time, it is possible that they may have lived through some of it or lived in its details, and that is due to their nostalgia for the past with its people, places, and places. its events. This is what is called idiomatically (nostalgia).

Iraqi painters have been depicting scenes related to the past, so their pictorial references were an evocation of legacies and heritage in general terms, events, people, or places, until the old heritage theme became a style for many of them. Even for art students. We see the pioneers of plastic art in Iraq who were inspired most of their works from conjured images, including Jawad Selim, Faiq Hassan, Ismail Al-Sheikhly, Nuri Al-Rawi and others, and from contemporaries, for example, Mahmoud Fahmy, Faisal Aleibi Shaker Al-Alusi and Ali Al-Tajer.

مقدمة:

يعد الفن أحد أهم السبل في استحضار الماضي والذكريات، والتي من الممكن ان تكون ممثلة بالصوت او بالصورة، فما الاستماع الى أغنيات ام كلثوم على سبيل المثال لا الحصر الا جزء من هذا الحنين والاستذكار لزمان يراه الاغلب من الشعوب العربية هو الأمل والاجمل بعيدا عن كل ما أحاط به من تغيرات سياسية واجتماعية وديموغرافية.

اما من الجانب التشكيلي، فقد نحى التشكيليون العرب هذا المنحى لارتباطهم الوثيق بتاريخهم وموروثهم الشعبي، لذلك نرى توجه الاعم منهم في توثيق الأماكن والاحداث في زمن سابق من الممكن انهم قد عاصروا بعضه او عاشوا تفاصيله، وذلك لحنينهم الى الماضي بشخصه وامكنته واحدائه. وهو ما يطلق عليه اصطلاحا ب (النوستالجيا).

دأب التشكيليون العراقيون على تصوير المشاهد المرتبطة بالماضي، فكانت مرجعياتهم التصويرية استحضارا للموروثات والتراث بعمومياتها احداثا او شخصا او امكنة، حتى بات الموضوع التراثي القديم أسلوبا للكثير منهم. وحتى للطلبة الدارسين في كليات الفنون. فترى رواد الفن التشكيلي في العراق قد استلهموا معظم أعمالهم من الصور المستحضرة ومنهم جواد سليم وفائق حسن و إسماعيل الشبخلي و نوري الراوي و غيرهم، و من المعاصرين على سبيل المثال فيصل لعبيبي و محمود فهمي و شاكر الالوسي و علي آل تاجر.

تظهر عناصر الموثيقات البشرية والحيوانية في الفن والمعمار الشعبي العراقي في أعمال الفنانين التشكيليين العراقيين. فهم يعلقون أهمية كبيرة على توثيق بلادهم وتراثها، مما جعلهم حريصين على إدراج ملمح توثيقي في أعماله. ربما من وحي إحساسه بالالتزام تجاه التراث. فاعماله ذات سردية بنسق حكائي قصصي يفصح عن ذاكرة قديمة لتفاصيل بيئة عراقية. اذ ان تصويرهم للبيئة العراقية شديدة المحلية وتصور البيت العراقي القديم بكل تفاصيله وترتيبه أثاثه، ونوافذه، أقمشته وسجاده وزخارف البسط وكذلك الشخص، دلالة لحرصهم على توثيق التراث بتوظيف الماضي اذ ضمت اعمالهم كل ما يحبون من خلال رموز وثيمات محلية ومختلة رحبة يمتلكونها.

مما تقدم، يمكننا صياغة مشكلة بحثنا من خلال التساؤل التالي: ما هي الاحداث الضاغطة التي تنبع منها رؤية التشكيلي العراقي المعاصر في صياغة اللوحة التشكيلية و التي يمكن تصنيفها ضمن النوستالجيا؟

أهمية البحث و الحاجة اليه:

تتمحور اهمية الدراسة الحالية حول اتجاهين مهمين:

١- الجانب العلمي وتظهر أهميته في إضافة أسس نظرية لنوستالجيا الحدث وفهمها و توظيفها مستقبليا.

٢- و من الجانب المجتمعي فان البحث الحالي يفيد عددا من الباحثين و النقاد في الميادين المختلفة و منهم طلبة الفنون الجميلة، فضلا عن رفق مكتبات كليات الفنون الجميلة و غيرها. حيث يمكن ان يكون مصدرا مهما لدراسات تالية ضمن موضوعة البحث لتحيط جوانب أخرى محورها النوستالجيا.

هدف البحث:

١- التعرف على سمات نوستالجيا الحدث في التشكيل العراقي المعاصر.

حدود البحث:

١- الحدود الزمانية: للفترة من ٢٠٠٠ الى ٢٠٢١.

٢- الحدود المكانية: العراق

٣- الحدود الموضوعية: نوستالجيا الحدث و تمثلاتها في الرسم العراقي.

تعريف المصطلحات:نوستالجيا – اصطلاحا:

شكل من أشكال التوق العاطفي لأي شيء أو حدث أو مكان في الماضي.

(Andersson, 2011,P.13).

وظهر تعريفه في قاموس ويبستر على انه توق حزين أو عاطفي مفرط للعودة إلى فترة ماضية أو حالة غير قابلة للاسترداد (Merriam-Webster dictionary).

عرفه ويليام كولين بأنه الرغبة التي لا تنتضب لمن يتغيبون عن الوطن في

العودة إلى هناك. (Cullen, 1808, 142)

في قاموس كولينز هو رغبة حزينة في العودة بفكر أو في الواقع إلى وقت سابق في حياة المرء أو إلى بيته أو وطنه أو إلى عائلته وأصدقائه؛ توق عاطفي لسعادة مكان أو

زمان سابق. (collinsdictionary.com)

الحدث لغة : بفتح الحاء والءال ، ج أحداث ، الحادث الذي وقع . (قلعه جي، ١٩٨٨،

١٣٤)

الحدث اصطلاحاً:

الحدث بحد ذاته مرتبط بطبيعة الكينونة نفسها، أي انه لن يكون حدثاً، ما لم تكن هناك ذات بشرية تفر بحدوثه، وعندها يمكن القول ان حدثاً ما وقع فقط بمقدار ما توجد ذات (subject) تدرك حدوثه و تعتقد بذلك. (نصير، ٢٠١٩، ص٢٢-٢٣)

المبحث الأول:النوستالجيا بين المفهوم و التصنيف:

الحنين إلى الماضي في الادب العربي والتي تقابلها (النوستالجيا) في الادب الغربي، ظاهرة نفسية يمكننا جميعاً الارتباط بها ولكن يصعب علينا تحديدها. يشعر المرء بالحنين إلى الماضي بطريقة خاصة جداً. لها نكهة مزدوجة غريبة: ألم ممزوج بالرغبة، وحزن مشوب بقطرة من الحلاوة. يُنظر إليه عبر القرون على أنه مرض نفسي، يظهر الحنين كقوة بشرية أساسية. إنها جزء من نسيج الحياة اليومية ويخدم أربعة مفاتيح على الأقل الوظائف النفسية: يولد التأثير الإيجابي، يرفع احترام الذات، ويعزز الترابط الاجتماعي، ويخفف من التهديد الوجودي. من خلال القيام بذلك، يمكن أن يساعد الحنين على التنقل بنجاح تقلبات الحياة اليومية. بشكل عام، يتم وضع الحنين إلى الماضي بشكل فريد لتقديم رؤى متكاملة عبر مجالات علم النفس مثل الذاكرة والعاطفة والذات والعلاقات. للحنين ماضٍ طويل ومستقبل مثير (Wildschut, 2008, 307). وهناك بعض النقاد العرب يرون أن «الدلالة الغربية لمصطلح النوستالجيا تبدو أكثر محدودية؛ لأنها تدلّ على حالة التحسر وهي مرحلة من مراحل المأساة في بعدها المكاني والزمني. (بلوحي، ٢٠٠٠، ص ٦٢).

تمت صياغة كلمة "الحنين" في عام 1678 من قبل طالب الطب البالغ من العمر 19 عاماً يوهانس هوفر في كلمة غامضة ولكنها سرعان ما أشيعت Dissertatio medica de Nostalgia oder Heimwehe. كانت الكلمة عبارة عن عبارة عن كلمة nostos اليونانية، والعودة للوطن، والألم. (Hover, 1934, 376)

يدعي البعض أن النوستالجيا مرض نفسي يسبب الكآبة للمشاعر في ذكرى قد تعد سعيدة، بينما يقول الآخرون إن الإيجابية في مزاجنا هي التي تفرسها. بدءاً من البعد المكاني الأصلي - التوق إلى مكان معين - انتقل هذا الشعور إلى بُد مؤقت - الشوق إلى الماضي. بمجرد ارتباطها بحالة الكآبة والقلق ورهاب الأماكن المغلقة، تم إعادة

تعريفها من تشخيص طبي إلى حالة شعور حلو محزن. لا يتناسب مع مشروع الحداثة وبادياتها في القرن التاسع عشر، فقد تم تعريفه على أنه العاطفية أو مستوى منخفض من القدرة على التكيف. وعادت في دور جديد بوعي قوي بالماضي الذي أوصلها إلى القرن العشرين. تقول سوزان بينيت في مسرحية "الحنين إلى الماضي"، نحن مهووسون بالماضي. الأعراض وباء حديث: الحنين إلى الماضي. يصبح الماضي وليس المستقبل هو المرجع الحديث. هل أصبح الحنين الوبائي علامة على الفقر الثقافي، واستبدال الواقع بنسخ ، واستبدال الحاضر بالذكريات؟ هذا نقد للحضارة، يوتوبيا ، هروب - ماذا بالضبط؟ (Kleinman, 1985). يتحول مفهوم الحنين إلى محتوى محدد بشعور طبيعي فائق ، و "شعور عام" وإدراك حلو ومر لكثافة امتصاص المشاعر. الماضي الذي نسعى للعثور عليه موجود فقط كذاكرة ، وبالتالي فإن الماضي هو دائماً الاحتمال المفقود لكل حلم عودة يتمنى أن يتحقق.

يعطي إيمانويل كانط تفسيراً جذرياً ، مدافعاً عن الفرضية القائلة بأن الحنين إلى الماضي هو حالة لا يمكن تخفيفها بالعودة. ما يتوق إليه الإنسان ليس مكاناً للطفولة ، بل الطفولة نفسها. لذلك، فإن هذا الكآبة ليست موجهة إلى "هناك" ، بل إلى "حينها" - خسارة مطلقة. لا يمكن إرجاع الوقت الضائع بأي شكل من الأشكال. (Kant, 1907, 178).

بمقارنة الحنين إلى الماضي ، فإن التمييز بين الذكريات البسيطة هو أنه يمكن للمرء أن يفعل ذلك بنشاط استذكر حدثاً ما ولكنه المكون العاطفي الذي يصاحب بعض الذكريات مما يجعله حنيناً إلى الماضي ، "يمكن للمرء أن يتذكر دون أن يشعر بالحنين ، ولكن لا يمكن للمرء أن يكون كذلك الحنين إلى الماضي دون أن يتذكر (باتشو ، 2007 ، ص 362).

قام جان جاك روسو بتحليل الحنين إلى الماضي ورأى فيه تعبيراً ، من ناحية ، عن التوق إلى الحرية ، ومن ناحية أخرى ، التوق إلى الطفولة ، حالة تعالي من المشاعر ، غالباً ما تهدئها الموسيقى. (Rousseau, 1768, 314) إن الحنين إلى الماضي يهدئ الشعور بالفقد ، بمثابة شكل من أشكال النرجسية التعويضية ، لأنه يزيد من الثقة بالنفس ويقلل من الاكتئاب. (Kaplan, 1987, 465- 486).

المبحث الثاني:**مفهوم الحدث بين الادب و الفلسفة:**

ان كل ما يصير له أهمية معينة بالنسبة لمجرى الأشياء وصيرورة التاريخ و مسار الأفكار، وهو تبرير لما تأتي اليه الفلسفة في تطبيق مصطلح الحدث على كل ما يأتي و يحدث. ويمكن إدراك الزمن من خلال تجربة واعية وتعاقب لاحداث حاضرة وتزامنها في نفس الوقت والمكان وضمن تجربة مشتركة مع اخرين. والحدث يستوعب الزمن الضائع ويحاول استعادته وتذكره، ونقصد هنا بالزمن الضائع ما قبل الحدث وما بعده. والفن هو من يدرك الحدث وليس الميديا التي تنقل الاحداث الآنية، وبالخصوص السينما التي تقدر على استنهاض الأحداث الغابرة من خلال سردياتها. لقد طرح اللقاء بين السرد و الحدث تحديات عديدة متعلقة بالنزاع بين الذاكرة و النسيان و بين الماضي التاريخي و الراهن معيدا بذلك البدء بالتفكير في مسألة الهوية و الخصوصية. يعبر ريكور عن المفارقة الخاصة بمعنى الحدث التاريخي من ناحية موضوعية التاريخ وذاتية المؤرخ على النحو التالي: " يريد التاريخ أن يكون موضوعيا ولكنه لا يمكنه أن يكون، ويريد أن يجعل من الأحداث معاصرة غير أنه مطالب في ذات الوقت بأن يردم هوة المسافة وعمق الابتعاد التاريخي. (Ricoeur, 1964, 23-80) الحدث التاريخي هو ما حدث فعلا في الماضي. غير أن خاصية ما حدث أصلا تختلف بشكل جذري عما لم يحدث بعد وبهذا المعنى يعتبر ما حدث في الماضي خاصية مطلقة مستقلة عن محاولة إعادة بنائها راهنا. اذ لا يمكن إيجاد تفسير لأي حدث مفرد اذا كان على التفسير أن يعلل جميع خواص الحدث... وبالنتيجة، فإن الطبيعة الفريدة لأي حدث هي أسطورة لا بد من نبذها وراء أفق العالم" (ريكور، ١٨١، ٢٠٠٦).

ذلك تمكن مهمة السرد في تقديم تفسير وإعطاء معنى للحدث التاريخي الذي يقوم بإعادة تشكيله بواسطة الحكمة ولكنه يتفادى طرح مسألة وسائل و غايات المؤرخ ويسمح للحدث بالانفلات من قبضة الإدراك الذاتي والتصور القبلي ويركز فقط على تقاطع المؤلف والقارئ وعلى جدلية التاريخ والقصص. أن "الشيء الأساسي هنا هو أن شيئا ما يحدث. إلا أن المرء ليس بإمكانه أن يصف على نحو ملائم ما يحدث هنا باعتباره معرفة متقدمة لما هو موجود. ذلك أن هذا الحدث يعني تفعيل وفاعلية مضمون التراث بإمكانية دلالاته وتصاديه المتسعة باستمرار عن طريق الذين يتلقونه" (غادامير، ٥٩٧، ٢٠٠٧-٥٩٨). غير أن علم التاريخ ليس مجرد سرد بسيط لأخبار عن أحداث ماضية حسب تسلسل ظهورها ولا تقديم شهادات مادية ووثائق عينية ولا يقوم بتفسير سبب وقوع شيء ووصف ما وقع بالاختزال إلى جهاز نقدي بل هو قطعة واحدة لا تتجزأ ويسعى الى تأسيس علاقات بين الأحداث ويقدم قائمة من

حقائق ذات روابط. من هذا المنطلق على علم التاريخ ألا يكفي بالتعداد البسيط للوقائع الماضية وألا يفرض بنية متعالية على الأحداث تجمع بعضها وتستبعد ما هو غير مناسب وأن يضفي على الأحداث معنى أو أهمية من خلال الحكمة المصغرة وأن يوسع من دائرة الجمل السردية ويكون سردا بالفعل ويركز على مفهوم إمكانية المتابعة لقصة معينة.

. ان الحدث الذي ينبثق يجمع بين الدالتين الكبيرتين لمفردة التاريخ وهما سلسلة من الأحداث بصدد التشكل وسرد الأحداث بواسطة الذين لم يعاصروها ولم يساهموا في تكوينها. (Ricoeur,34-35) هذا التصور للحدث بوصفه عنصر من العناصر التي تتكون منها الحكمة يسمح بالتمييز بين السرد Récit والشعر Poésie بالنظر الى ما يحدثانه من تأثيرين مختلفين على القارئ وبالانتصار الى الطرف السردى على حساب الطرف الشعري وذلك بحكم تفوق إعادة الوصف الإستعاري في حقل القيم الحسية والعاطفية والجمالية ودور وظيفة المحاكاة السردية في التأثير على حقل الفعل في التاريخ والقيم الزمانية. إذا كان الشعر يمنح الى المتلقي قيمة تأثيرية وعاطفية ويسمح للعالم بأن يكون جديرا بالسكنى فإن مسلك السرد يوفر له قيمة إيتيقية وجمالية ويساعده في الاختيار التفضيلي والمداولة بين عدة إمكانات وذلك لما تختزنه النصوص السردية من طبيعة قصصية تساعد على إدراك الحدث التاريخي والتأثير في الأفعال. (

Ricoeur, 1983,13)

لكي يمتلك التاريخ حقيقة يمكن سردها ولكي يدعم قدرة الإنسان في متابعة قصة على نحو أفضل فإنه مطالب بأن يدمج الأحداث في سرد مقبول ويحد من سيادة المجهولية الضخمة للقوى والتيارات والبنىات. " الحبكة هو ما يؤهل حدثا ما ليكون تاريخيا"، ولا تكتسب الحقائق التاريخية أهمية ولا توجد إلا في الحكيات وأي حدث فريد غير قابل للتكرار يضيع ما يؤهله ليكون تاريخيا وبهذا المعنى "ليس الحدث التاريخي ما يحدث ولكن ما يمكن أن يروى أو ما تمت روايته بالفعل في أخبار أو أساطير" (ريكور، ٢٠٠٦، ٢٦٧).

المبحث الثالث:

تمثيلات النوستالجيا في التشكيل العراقي:

ان الفن لا يظهر كقيمة حضارية ما لم يكن مرتبطا بالحضارة و عاملا من عواملها، اذ ان للفن بعدا اجتماعيا يرتبط بمجمل التصورات المتولدة من خلال العلاقات و المفاهيم بالجانب الروحي و النفسي للإنسان. ان الظروف التي مهدت للفن التشكيلي المعاصر في العراق وفي العقود الأولى من هذا القرن، ارتبطت بعوامل عدة مختلفة، بيد انها ترتبط بأسس عامة منها ارتباط (الفن) بمحتوى ثقافي جديد ظهر في بداية العقود الأولى.

العقد الثالث والرابع. و لم يكن وجود الفن التشكيلي الا ضرورة عامة ارتبطت بتلبية هذه الحاجات بهذه الفئة الاجتماعية ذات الثقافة الخاصة.(حسين مروه، ١٩٨٠، ٥٢-٥٣).

تبدو الاعمال ذات الرؤية المتقدمة والفهم الموضوعي بحركة الواقع هي الأكثر تمثيلا في فترة الاربعينيات و ما تلاها من تحولات في المنهج و الأسلوب، فقد جاءت محملة بوعي فني فكري و تجسيد للواقع في معظم النتاجات الفنية، كما التزمت بخلق الشخصية الفنية و تأصيلها.

ان خلق المعادل بين تجربة الفنان من واقعه المعاش وبين الاستعارات من التجارب الغربية، تشير الى تجارب ذات رؤية جديدة للواقع، وبالأخص العملية الإبداعية. و لعل من اهم التجارب في تلك الفترة و التي نلاحظ من خلالها التنوع في الموضوعات ، و اتساع الرؤية الاجتماعية هي بغداديات جواد سليم و الريف و البدو في اعمال فائق حسن، كذلك نلمسها في طبيعة حافظ الدروبي و اعمال محمود صبري الشعبية و نواير راوه في اعمال نوري الراوي و غيرهم من الأسماء..

ان الموروث كبنية مجتمعية يمتلك خصوصياته من المرجعيات القومية و الاحداث المرتبطة بالفرد، و التي تعكس الهوية و تأصلها برؤية مغايرة قائمة على الانفتاح و التطور المعاصر، و الذي " تستمد خلاله الهوية من التراث الحضاري و المؤثرات المعاصرة بكل ما يحيطها من فولكلور محلي" (لوزان، ١٩٧٧، ص٢١٦) من أجل تصعيد مفاهيم الهوية و المحلية بوصفهما خصوصية لارتباط الفرد بالمجتمع. " ان الوجود الاجتماعي هو العامل الحاسم في تحديد الوعي، ولعد الفن انعكاسا للواقع الاجتماعي، فان النتاج الفني الناجم عن الفنان ينبثق من مصدرين يتمثل احدهما بدرجة وعيه و طبيعته، فيما يتمثل الاخر بوجوده الاجتماعي"(صالح، ١٩٩٠، ص ١٨١).

يرتبط المنجز بالمعنى الحدائوي او المعاصر في الفن كنتيجة مرتبهة بحوارات الاتجاهات الفنية السائدة فضلا عن ما تمليه عليه الذاكرة التاريخية. فمفهوم الخطاب في المنجز الفني المعاصر في العراق يستمد شرعيته من الموروث و التراث و الاحداث التاريخية بوصفه واقع اجتماعي وثقافي.

في بحثنا الحالي نحاول الإحاطة بمجموعة من النصوص البصرية وارتباطها بالاحداث التاريخية التي دفعت الفنانين التشكيليين لتصويرها في محاولة لاستعادة الهوية بمنهج عصري في التشكيل.

فمن خلال رسمه النماذج النمطية في محاولة لترجمة الروح المحلية، قام (فيصل لعبي) بتجسيد ذلك الطابع المحلي عبر موضوعات كانت ميزة تلك الحقبة التي عايشها. عند مشاهدة لوحاته يتولد انطباع بتشابه الوجوه و الاشكال في مراحل مختلفة، و نرى

ذلك من خلال الانغماس الحدتي المباشر و اهتمام الفنان بحوادث البلد و مواطنيه و تعاطفه الشديد مع أصدقاء الطفولة، المرحلة الحاسمة لأعمال (فيصل لعبيي) كانت في توسيع الجزء الذي صور فيه مشاهد من الحياة الشعبية العراقية بأسلوب الجداريات المكسيكية الكبيرة والتركيز على شخصياتها اليومية كالحلاق والبقال وعامل المقهى والخياطة وبائعة الباقلاء وغيرهم. (الأشكال ٥،٤،٣،٢،١). وثق لعبيي صلته بالحلم القديم، من خلال تجربته التي اخذت منحى تطوريا في الأسلوب خلال تجربته الفنية الطويلة، حيث تتبادل الأشكال والمنظورات حول محور دلالي مرتبطا بجذور النشأة الوطنية الاولى. فظهرت الإشارات الى البيئة والى الأزمنة واستحضار لمخزونات الذاكرة.

و نحن حين نستعرض العناصر الفنية بعضها مع بعض في اعمال (لعبيي) و منظومتها الإنتاجية نجد انفسنا امام تجارب لا تتوقف عند تقنيات معينة، او مراحل زمنية مؤقتة. اذ تبنى اعماله على منظومة تشكيلات انشائية و قيم لونية مبطنة بالذاكرة و روح البيئة و الطفولة، و هي متكررة الحضور في مجموعاته الثابتة و المتحركة. تبنى (لعبيي) نقلنا للعيش في المقاهي والأسواق القديمة، وكأنه يضع حلولاً لتسهيل هذا التنقل من خلال شخوصه المستوحاة من التماثيل السومرية بتقنية التسطیح للأشكال والمنظور لكي يضع المكان بين مخيلة المتلقي واغراءه للولوج الى هذه الأماكن ومصاحبة الشخوص والاستماع الى الاحاديث.

يسجل (علي آل تاجر) موقفه مما يدور من احداث في العراق من زوايا متباينة من خلال توظيفه للحكايا الشعبية والاحداث التاريخية والمشاهد الدرامية، وكذلك الشخصيات العامة والاساطير، وذلك محاولة منه لإضفاء سمة الارض والمرجعية والهوية التاريخية. فهو عادة يحاول ان يجمع متضادات في عمل واحد وإيجاد التناغم في محاولة منه لتقريب الخصوم وإضفاء طابع السكون والتسامح والسلام عبر ترميز المفردات وتأتيها بصيغة تراثية ملونة ومزخرفة (الأشكال ٦،٧،٨،٩). يصور لنا (علي آل تاجر) الماضي بوصفه ذاكرة، فسر الرسم والمصور الفوتوغرافي الذي يؤرشف كل ما يخص ذاكرة بلده، بعده مساحة مغلقة تجمع المفردات ضمن مساحة المخيلة، والتي تضم كل ما نحب، كوننا نتاج ماضيها بفقراته واحداثه السعيدة والتراجيدية منها، اذ اننا نقضي جزءا كبيرا من حياتنا في الماضي والاستذكار، فهو يسيطر على ذاكرتنا المعاصرة عبر تلك المفردات التي تجتمع في المخيلة.

لم تخلو اعمال (علي آل تاجر) من سردية في التصوير لشخصه المرسومة في وضعيات تستعرض وجودها في مشهد ينتمي الى زمن لم يعد موجودا. و تحيطها

تفاصيل يوميات منازلهم ذات الالفة و الترابط، و كأنه يستحضر سيرة اجتماعية او تجربة حياة متكاملة عبر استعادته لتلك العلاقة بين شخوصه و المكان المحيط .
 إن أعمال (ال تاجر) لا تصوّر ما نرى في المكان , و هي ليست محض خيال, بل هي مزيج بين الاثنين و امتداد لهما، و هذا التفاعل مع البيئة و اندماجه فيها منبعه ان الفنان جزء من الطبيعة المحيطة به و تواصله معها. و المتمعن في اعمال (آل تاجر) يستطيع ان يرى حرصه على توثيق الاحداث و التراث و الشخوص و ادراجها كملح توثيقي، و ذلك إحساسا منه بالالتزام تجاه التراث و تأصيل الهوية و ذلك ما حاوله مجموعة من التشكيليين العراقيين ممن سبقوه.

تحت سطوة النوستالوجيا تشكلت بفرشاة (محمود فهمي) مشاهد الغرابة في تكويناتها الجمالية و الوانها السحرية النقية و اشكاله الخيالية و التي حاول فيها ان يحاكي ما تخبأه الحياة اليومية البغدادية من جمال ساحر. اذ يشكل الزمان و المكان أبرز عنصرين فاعلين بنتاجه الفني. فأعماله تستحضر دلالاتها مبنية على فكرة الاختلاف و التطابق في رؤيته لمفردات البيئة البغدادية و تتواشج في حيثياتها لتأكيد الصلة الروحية بمدينة بغداد. فهو يعمد لتأسيس نصوص بصرية متألفة في مفرداتها رغم الانحراف عن المؤلف في توثيقه للأشياء و الاشكال من حيث حجمها و تناسبها، و من خلال معالجته للمنظور. و كذلك تبنى الصورة الزاهية للمواقف و الاحداث اليومية، في محاولة لتلوين الذاكرة التي ارتبطت بالذاكرة الجمعية باللون البني و الألوان الحياضية، في محاولة لعكس الازمان و العودة بالذاكرة نحو ما تشتهييه النفس من جلسات الشاي و حدائق البيوتات البغدادية القديمة و شرفاتها و نهر دجلة. و تظهر خاتونات بغداد لإضفاء المزيد من الرومانسية للمشاهد المصورة في اعماله (الاشكال 10,11,12).

يطلق (محمود عبود) العنان للنوستالوجيا و الحنين الى البقاء ميرا بذلك خلاصه من عجلة النسيان و ذلك عبر استحضار مدينة بغداد بشناشيلها و نساءها و امكنتها القديمة، فهو يرتبط بالطبيعة الام. ان فكرة استدعاء ذاكرة المكان هو جوهر الواقعية السحرية التي يصورها، و استنطاق للحدث القديم بصيغه المنتمية للحاضر اكثر من الماضي. اذ نجده يميل الى التعامل مع الحدث الذي يبني شخصيات حقيقية بتأثير عاطفي يعيدنا فيه الى الأصل. و هو يعيد تسجيل الذاكرة الجمعية بصيغة بنائية سحرية تحمل رسالة إنسانية تؤكد الهوية الوطنية، و كأنه يدعو الناس للنظر بعين الحنين و الحب. اذ يمزج بين الحاضر و الماضي بالروحية العراقية الاصلية في تصوير اعماله.

النتائج:

- 1 . تنطوي فكرة (النوستالجيا) في التشكيل العراقي المعاصر على تأكيد الجوانب النفسية و التعبيرية عبر النص البصري الفاعل.
- 2 . مستويات البناء الشكلي للاحداث في التشكيل العراقي المعاصر تندرج ضمن حالات مختلفة منها ما هو واقعي و منها الواقعي بنزعة سرالية و كذلك الواقعي بنزعة تعبيرية.
- 3 . تتشكل الاحداث في التشكيل العراقي المعاصر بنزعة سردية تعتمد الحكائية في تكوينها و نظم بنائها.
- 4 . تتمثل النوستالجيا في نقل الاحداث الواقعية التاريخية، او القصص التراثية او اليوميات المرتبطة بذاكرة المجتمع ، و هي بذلك تتيح للمتلقي فهما مباشرا للحدث عبر دلالات الصورة الفنية.
- 5 . تعتمد بعض صور الاحداث على خصائص غير تقليدية كتضخيم الاشكال او تقزيمها، و الخروج عن النسب التشريحية الصحيحة، و تغريب الاشكال و تهجينها و اعتماد المنظور المسطح و المتراكب، و هو ما يعطي للصورة بعدا ميتافيزيقيا و نفسيا في محاولة للتعبير عن كوامن الذات الإنسانية التي تعترى التشكيلي العراقي.
- 6 . تتنوع صور الاحداث في التشكيل العراقي المعاصر استنادا الى طبيعة الموضوع و خصائصه المرتبطة بالابعاد الذاتية، فقد تكون اجتماعية او اقتصادية او سياسية او تاريخية.
- 7 . ارتبطت موضوعات (الحرب) و (الثورات) و (الاحداث السياسية) و تمثلت بكيفيات مختلفة لاستدعاء المعاناة تارة، و الانتماء الوطني تارة أخرى، فكانت لها بنى مهيمنة من بين الصور المتنوعة الأخرى.
- 8 . تتأسس مستويات للعلاقة بين صورة الحدث و تمثله كبنية شكلية، وفقا لهيمنة السياق التخيلي على مفردات الصورة ، و إعادة انتاجها من جديد.
- 9 . ظهرت الاعمال التشكيلية بصورة بهية وألوان زاهية و اشكال معاصرة في محاولة لتقريب المسافة نحو الماضي بصورة عصرية.

الاستنتاجات:

- 1 - ساهم التاريخ و الموروث الشعبي و الاحداث السياسية في اثراء مخيلة التشكيلي العراقي لتصوير اشكال متخيلة عجائبية.
- 2 - لعب الوعي دورا مهما في صياغة الاشكال المتخيلة و المستعارة اما من الحضارة او من الانسان المعاصر و احالته الى الحقبة التي يتبناها الفنان.
- 3 - استثمار الاحداث و الوقائع العامة و الخاصة كموضوعات ضرورية لانتاج صورة فنية معاصرة مجتزه من الواقع.
- 4 - تمثل الصورة المستقاة من المجتمع استذكارا لصيرورة الحدث و ترجمتها الى أنساق جديدة من قبل الفنان، و بالأخص حينما يعيش فواصل تلك الحال و يتأملها.
- 5 - الاحداث المرتبطة بالطبقات الفقيرة، لها طابع توظيفي مهيمن في بنية التشكيل العراقي المعاصر.

المصادر

1. بلوحي، محمد، الشعر العذري (في ضوء النقد العربي الحديث)، اتحاد الكتاب العرب، م. ٢٠٠٠
2. بول ريكور، الزمان والسرد، القسم الأول، ترجمة سعيد الغانمي وفلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2006.
3. حسين مروه، مقدمات أساسية لدراسة الإسلام، ضمن دراسات في الإسلام، ط٢، مجموعة من الباحثين، دار الفأرابي، بيروت، 1980.
4. سارتك لوزان، الفن العراقي المعاصر، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، 1977.
5. قاسم حسين صالح، في سيكولوجيا الفن التشكيلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990.
6. نصير فليح، الان باديو، ط١، دار و مكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٩.
7. هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار أوياء، طرابلس، ليبيا، 2007.
8. Arthur Kleinman & Byron Good, eds. Culture and depression: Studies in the anthropology and cross-cultural psychiatry of affect and disorder (Berkeley 1985).

9. Batcho, K. I. (2007). Nostalgia and the emotional tone and content of song lyrics. *American Journal of Psychology*, 120, 361-81.
10. DEFINING NOSTALGIA AND ITS FUNCTIONS A Review, Bachelor Degree Project in Cognitive Neuroscience 15 ECTS Spring term Year 2011 Jimmy Andersson. P.13
11. Immanuel Kant, "Anthropologie in pragmatischer Hinsicht", in Kant's Werke, VII (Berlin 1907), 178–79
12. Jean-Jacques Rousseau, *Dictionnaire de musique* (Paris 1768), 314 f.
13. Kaplan, H. A. (1987). The psychopathology of nostalgia. *Psychoanalytic Review*, 74, 465– 486.
14. medical dissertation on Nostalgia by Johannes Hofer", *Bulletin of the Institute of the history of medicine*, 2 (1934), 376–391.
15. Nostalgia: past, present, and future: Tim Wildchut , October 2008, *Current Directions in Psychological*.17(5) p. 307
16. Ricœur (Paul), *Temps et récit 1*, édition du Seuil, Paris, 1983.p13,.
17. Ricœur Paul, *Histoire et vérité*, 1° édition du seuil, Paris, 1955. 2° édition 1964, pp.23-80.
18. Ricœur Paul, *le retour de l'événement*, op.cit.pp.34-35.
19. William Cullen, *A methodological system of nosology* (Stockerbridge 1808), 142.
<https://www.merriam-webster.com/dictionary/nostalgia>. Accessed 29 Nov. 2022.
<https://www.collinsdictionary.com/dictionary/english/nostalgia>



شكل رقم ٣



شكل رقم ٢



شكل رقم ١



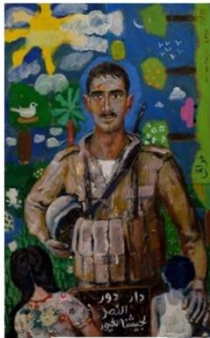
شكل رقم ٦



شكل رقم ٥



شكل رقم ٤



شكل رقم ٩



شكل رقم ٨



شكل رقم ٧



شكل رقم ١٢



شكل رقم ١١



شكل رقم ١٠